

نظرات معاصرة في القرآن الكريم

(116) ودلالة السماء ظاهرة في السماء الدنيا ، ودلالة الأرض ظاهرة على هذه الأرض جميعاً ، ولا دليل من القرآن على غير هذا ، ولا يدفع الظاهر بالمؤول دون أمانة ، ودعاء نوح يوحى بهذا بل يصرح بعموم الطوفان: (رَبِّ لَّا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) (1) . وكون رسالة نوح عالمية تؤكد ذلك: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) (2) ، مؤيداً بقوله تعالى: " فَدَعَا إِلَى الْإِسْلَامِ الْغَالِبِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ " (3) . والكتاب إنما ينزل على أصحاب الرسالات العالمية ونوح أولهم بإعتباره من أولي العزم الخمسة وهو الأول منهم. قال الطباطبائي: " فالحق أن ظاهر القرآن - ظهوراً - لا ينكر - يدل أن الطوفان كان عاماً للأرض، وأن من كان عليها من البشر قد أغرقوا جميعاً ، ولم يبق لهذا الحين حجة قطعية تصرفها عن هذا الظهور " (4) . وغرق الملاء ، وانتهى الأمر ونجا نوح والمؤمنون ، فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (5) . وحصر الإذرية البشرية في نوح وحده ، وهو أيضاً مما يدل صراحة على هلاك البشرية إلا نوح والذين معه: (وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَاهُ دُرُوسًا لِلنَّاسِ إِنَّهُمْ يَنْتَهُونَ عَنِ الْإِسْكَانِ فِي الْبَقَايَةِ * وَتَرَكْنَاهُ عَلَىٰ آلِهِ فِي الْأَخْرَى * سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّ نَا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ نَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرَى *) (6) . وتغلبيت القرون الأخرى في العالم ، وتعاقبت الأجيال على الكرة الأرضية حتى قوم هود عليه السلام ، وهو من أنبياء العرب فبعثه إلههم: (وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) (7) . الدعوة نفسها ، والغرض واحد ، وهو التوحيد ، فكفروا به بعد أن _____ (1) نوح: 26. (2) الشورى: 13. (3) البقرة: 13. (4) الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن: 10 / 266. (5) العنكبوت: 15. (6) الصافات: 76 - 82. (7) الأعراف: 65.